142 - إن المنافقين يخادعون ا وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون ا إلا قليلا .

- 143 - مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل ا فلن تجد له سبيلا .

قد تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالى : { يخادعون ا والذين آمنوا } وقال ههنا : { إن المنافقين يخادعون ا وهو خادعهم } ولا شك أن ا لا يخادع فإنه العالم بالسرائر والضمائر ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم - كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرا - فكذلك يكون حكمهم عند ا يوم القيامة وأن أمرهم يروج عنده كما أخبر تعالى عنهم أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده كما قال تعالى : { يوم يبعثهم ا جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم } الآية وقتوله : { وهو خادعهم } أي هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك يوم القيامة كما قال تعالى : { يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم - إلى قوله - وبئس المصير } وقد ورد في الحديث : " من سمع سمع ا به ومن رايا رايا ا به " وفي الحديث الآخر : " إن ا يأمر بالعبد إلى الجنة فيما يبدو للناس ويعدل به إلى النار " عياذا با من ذلك .

وقوله تعالى : { إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى } الآية هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي (الصلاة) إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه عن ابن عباس قال : يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح فإنه يناجي ا وإن ا تجاهه يغفر له ويجيبه إذا دعاه ثم يتلو هذه الآية : { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى } فقوله تعالى : { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى } هذه صفة ظواهرهم كما قال : { ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى } ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة فقال : { يراءون الناس } أي لا إخلاص لهم ولا معاملة مع ا بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة ولهذا يتخلفون كثيرا عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبا ك (صلاة العشاء) في وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس . كما ثبت في الصحيحين أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي

بالناس ثم انطلق معي برجال ومعهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار " وفي رواية : " والذي نفسي بيده لو علم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد الصلاة ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بوتهم بالنار " وقال الحافظ أبو يعلى عن عبد ا قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " من أحسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه D " وقوله : { ولا يذكرون ا إلا قليلا } أي في صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون بل هم في صلاتهم ساهون لاهون وعما يراد بهم من الخير معرضون . وقد روى الإمام مالك عن أنس بن مالك عن أنس بن مالك قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق : يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر ا فيها إلا قليلا " .

وقوله تعالى : { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء } يعني المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ولا مع الكافرين ظاهرا وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى أولئك { كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا } وقال مجاهد { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء } يعني أصحاب محمد صلى ا عليه وسلّم { ولا إلى هؤلاء } يعني اليهود وقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " مثل المنافق كمثل الشاة العاثرة بين الغنمين " (رواه أحمد عن ابن عمر مرفوعا) .

وقال ابن جرير عن قتادة { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء } يقول : ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك قال : وذكر لنا أن نبي ا صلى ا عليه وسلّم كان يضرب مثلا للمؤمن وللمنافق وللكافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر فوقع المؤمن فقطع ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر : أن هلم إلي فإني أخشى عليك وناداه المؤمنين : أن هلم إلي فإن عندي وعندي يحصي له ما عنده فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه الماء فغرقه وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك قال : وذكر لنا أن نبي ا صلى ا عليه وسلّم كان يقول : " مثل المنافق كمثل ثاغية بين غنمين رأت غنما على نشز فأتتها وشامتها فلم تعرف ثم رأت غنما على نشز فأتتها فشامتها فلم تعرف " ولهذا قال تعالى : { ومن يضلل ا فلن تجد له سبيلا } أي ومن صرفه عن طريق الهدى { فلن تجد له وليا مرشدا } فإنه { من يضلل ا فلا هادي له } والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم ولا منقذ لهم مما هم فيه فإنه تعالى لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون